الخمینیُ الکبیرُ و العشق الإلهی

علی شمیل پور[1]

روح الله بابانژاد گتابی[2]

المُلخّص:

لقد کان الوصول إلی أعلی السلطات المعرفیة والکمال الروحی دائمًا أحد الأهداف السامیة للمتصوفین. وفی رأی هؤلاء الأشخاص أن العشق هو مفتاح الوصول إلی هذه المرحلة من التمیز والکمال الروحی، والتی یشیرون إلیها فی أعمالهم بـ «الحب» و«العشق» و«المحبوب» و«لمعشوق».

العشق ینقسم الی العشق الحقیقی والعشق الافتراضی. ویری بعض الخبراء أن العشق الجنسی –أی العشق الافتراضی– هو ضرورة فی الحیاة. بل إنهم أخذوا بکلام ووجهات نظر بعض المعلمین فی علم النفس والتحلیل النفسی و... یقول الامام الخمینی بالنسبة الی العشق الحقیقی نحن العشاق نهتدی من أعلی الجبل، الروح القدس یبحث عنا. وبالإضافة إلی أن الإمام (ره) تحدث عن محبة الله ومحبته فی مصنفاته، فإنه ینهی أهل العلم عن إطلاق أحکام غیر صحیحة علی محبة الله ومحبته، مما یؤدی إلی الفساد: «ومن الأمور المهمة التی یعاقب علیها» لا بد منه، وعلی إخوان المؤمنین، وخاصة أهل العلم، أن یعلموا أنهم إذا رأوا أو سمعوا کلام بعض علماء النفس وأهل العلم، فلا ینبغی لهم أن یفسدوا ویبطلوا بغیر شرع.

مراحل وشروط العشق الحقیقی: ۱) اجتناب الشهرة والکبریاء ومحاربة الغرور والنفاق ۲) الکتمان والحیاء فی العشق

---

۱ . أستاذ في جامعة المصطفی العالمیة

۲ استاد جامعة المصطفی (ص)rohollahbabanejad0123@gmail.com

الكلمات الرئيسية: الامام الخمينى، العشق، الحقيقى، الافتراضى، العشق الالهى

المدخل:

العشق والعرفان هما أفضل سبب لهروب الإنسان إلى عالم الملكوت وأهم سبب لعدم وقوع الإنسان فى الندم والخسارة. أولئک الذين هم بعيدون عن هذه الصفة الإلهية فى حياتهم اليومية، سيعانون من جميع أنواع الأمراض العقلية والقلق الداخلى وانعدام الأمن، وفى النهاية سيعانون من الخسائر. العشق والعرفان أساس العبادة؛ وهو أيضًا عامل الاتصال ودواء الحياة

نعم التصوف يستيقظ. صحوة الإنسان الذى يرى نفسه فى ضوء التعامل مع الروحانية ومن خلال التهذيب والتطهير وضبط النفس من التلوث الداخلى والتأدب والتطهير والانضمام إلى الكثير من الأطهار ويصبح من الملائكة وأيضا من خلال العبادة. (عبادة الأحرار) وبهذا يكون قد وصل إلى صلة الصديق وخطى فى طريق القرب من الله.

يقول العلامة محمد على الشهابادى (مدرس الامام الخمينى رحمه الله) وله كتب مفيدة فى العلوم الباطنية ومن مؤلفاته شذرات المعارف يقول:

قال الله تعالى إن بعض الناس تضرب الملائكة وجوههم وظهورهم عند الموت، وهم الذين لم يتعلموا فى الدنيا. الملائكة الذين هم حراس العالم يضربونه بشدة على ظهره لأن وقتک فى العالم قد انتهى، اخرج من هنا الملائكة الذين هم حراس هذا العالم يرون هذا الشخص بأيدٍ فارغة ووجه أسود. إنه قادم، يضربونه على وجهه الذى كنت فيه طوال العمر، لماذا أتيت خالى الوفاض ولماذا لم تهتم بنفسک؟(جوادى آملى، ۱۴۱۳ق، ص ۱۲۷ و ۱۲۹).

إن الاهتمام بالتصوف والروحانية الإسلامية الأصيلة فى شكل عبادة هو إكسير الحياة؛ عبادة أعادت اكتشاف صفتها السماوية فى ضوء المحبة والتصوف. إن الفشل فى هذا المجال هو علامة على قلة المعرفة وأيضا علامة على عدم الالتزام والإيمان بالواجبات التى رسمها لنا

الرب الحکیم؛ وهذا النقص مضر ومهین للغایة، وینبغی القول دون مبالغة: إن معظم أمراضنا وصعوباتنا وتخلفنا سببه هذا الأمر.

«الإیمان بالله» هو الدواء الأکثر فعالیة فی العلاج النفسی والجسدی للمرضی، ولهذا یکتب الدکتور بول إرنست أدولف، الأخصائی والجراح العام فی جامعة بنسلفانیا:

إن العامل الأهم فی شفاء المریض لیس الفیتامینات والأدویة والفحوصات والجراحة وما إلی ذلک: بل الأمل والإیمان. أدرکت هذه النقطة. فی الخطوة الأولی یجب علاج النفس المریضة بتعزیز الإیمان (الدینی) بالله. وثبت لی أیضًا أنه إذا دخل الإیمان والدعاء إلی الله فی العلاجات واعتبارها من عوامل العلاج، حصلت علی نتائج باهرة (جمع من المؤلفین، ص ۲۴۵).

أما البشر فیصبحون أقوی یوماً بعد یوم فی ظل العلم، ولکن بسبب عدم وجود رادع داخلی یصبحون أکثر خطورة؛ لأنه مزود بجمیع أنواع أسلحة القتل الجماعی والفردی، ومن ناحیة أخری یفقد أخلاقه وإیمانه وانضباطه الذاتی، ویصاب بالهموم والاکتئاب والقلق فی الحیاة، ویصبح نتیجة لذلک ملجأ. للکحول والمخدرات والانتحار تتزاید یوما بعد یوم. یقول ویلیام جیمس، أستاذ الفلسفة فی جامعة هارفارد وأبو علم النفس الجدید:

الإیمان (والحالات الباطنیة) هو إحدی القوی التی یعیش بها الإنسان، وغیابها التام یعنی سقوط الإنسان (کارنگی، ۱۳۹۴، ص ۱۵۵).

إذا وقع إنسان مؤمن فی ألم ومعاناة یومًا ما، لأنه لیس لدیه قلق داخلی، فإن نفس یقین القلب یساعد فی شفاءه. یقول الدکتور کارل یونج وهو أحد أشهر علماء النفس فی العالم:

ومن بین آلاف الأشخاص الذین أتوا إلی وطلبوا مساعدتی، وجدوا أولئک الذین یلتزمون بمبادئهم أو یؤمنون بدینهم، ویتم شفاؤهم بسرعة کبیرة.

إن ضرورة الاهتمام بالقضايا الصوفية لا تخفى على أحد، ولا يخفى على أحد التعطش للتصوف فى العالم، وخاصة بين جيل الشباب سراب التصوف الشيطانى سوف يلعبه الممثلون والأديرة الدينية، الذين لا يمكن إنكار خسائرهم. وفى زيارة أمين الله التى قرأها الامام السجاد (عليه السلام) عند قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) الطاهر مكتوب: «*... و أفئدة العارفين منک فازعة*»؛

نعم إن قلوب المتصوفين مندهشة من الله. وهذه المفاجأة بدورها هى الكمال، وإذا لم يتغذى المتصوفون الذين يريدون المعرفة من توجيهات الحاخامات الصوفية، فسوف يقعون فى أيدى بائعين متصوفين محترفين بعيدين كل البعد عن التصوف الحقيقى.

إن من الجوانب المهمة فى شخصية الإمام (ره) ومن أفكاره المشرقة والمتميزة هو فكره الصوفى الذى كان له بالتأكيد الأثر الكبير فى تدبير وقيادة النبى الكريم.

إن الطاعة المطلقة لله تعالى قد رفعت ذلک الإمام إلى مرتبة العبودية، مما اضطر مجموعة كبيرة من الناس إلى الطاعة والتكريس والمحبة لذلک الكائن الإلهى بإخلاص، والذى بتعبير بسيط فى متناول فهم الناس وحماسهم وأحيا المحبة فى قلوب الشباب النقى الغيور فى هذه الحدود والمنطقة وحشدهم للدفاع عن إيران كلها والثورة الإسلامية. ولا شک أن الطاعة لمنصب الحاكم والسلطة جاءت من روحانية وعميقة تم إنشاء علاقة عاطفية بين الشعب والإمام، وكان هذا الارتباط الروحى العميق هو الذى حشد الملايين من الشعب الإيرانى ضد الظلم والطغيان والاستبداد وأتى بالثورة الإسلامية إلى ثمارها. كل هذه الثمار كانت نتيجة روحانية وتصوف الإمام (ره) الذى أسر القلوب كما فى خطبه البسيطة، ولكن نابعة من مكانته الروحية العالية وقلبه المتوكل على الله، فإن عيون محبيه تمتلئ بالدموع. وأهل إيران، والشباب يحبون الإمام، وهذا حب إلهى لا نهاية له، يتحدث عن حب الإمام الغامر لله تعالى، كما كان حب أصحاب الإمام الحسين (ع).) لذلک الإمام الذى أصبح مسرحاً ليوم عاشوراء (أعظم حدث فى التاريخ).

الثورة الإسلامیة فی إیران وقصة قیادتها هی إشارة إلی حرکة الإمام الحسین (ع)، والإمام الخمینی (ره) مثل الإمام الحسین (ع) یقود العشاق المتدینین بعیداً عن شؤون الدنیا إلی لقاء الله والعشقیب الأبدی. الذی هو غایة وهدف الکمال کما قال: «لا شیء یقال عن الشهداء، الشهداء شمعة الأصدقاء، الشهداء فی ضحکتهم المخمورة وفی فرحة وصولهم "عند ربهم" وهم من النفوس الواثقة المخاطبة" کما "فأدخلی فی عبادی وادخلی جنتی" "یا ربی هذا عن العشق، والعشق والقلم فی رسمه یقسم نفسه» (الإمام الخمینی : ۱۳۷۸، ج۲۱، ص۳۲).

فی الفکر العرفانی للإمام (ره) وأبعاد التصوف الإسلامی المختلفة، یحتل «العشق والحب»مکانة عالیة.

کما أن «للعشق مکانة خاصة من وجهة نظر الإمام الخمینی، لدرجة أنه یمکن القول بأن العشق هو محور وأساس جمیع أعماله» (الطباطبائی، ۱۳۸۸، ۱۳: ص ۱۳-۱۴). العشق أکثر من ۱۴۷ مرة فی بلاطه والموضوع الرئیسی فی سوناته الصوفیة مخصص لهذا الموضوع (الطباطبی، ۱۳۸۸: ص ۲۶۲). ومن وجهة نظره فإن المودة والعاطفة والعشق هی بریق الصعود والتألق(الامام الخمینی، ۱۳۷۷: ص ۷۶؛ ۱۳۷۵: ص ۱۲۷). المتصوفون فی خراسان لیسوا جمالیین، ولکن فی اثره العرفانی الأول، مصباح الهدایة، وفی اثره الأخیر، دیوان، تؤکد قصائده علی العشق کثیراً.

ولذلک نحاول فی هذا المقال دراسة شعاع من الفکر العرفانی للإمام (ره).

تعریف العشق:

قیلت تعریفات ومعانی مختلفة للعشق. الاهتمام الزائد بشیء ما، الإعجاب بشیء أکثر من المعتاد "حب الشی اعمی واصم" و...

عدم قابلية تعريف العشق:

لقد تحدث العلماء والمفكرون كثيراً عن العشق وحاولوا شرحه ووصفه بأسلوبهم وذوقهم الخاص، إلا أن معظمهم اعترفوا بأن حقيقة العشق لا يمكن تعريفها منطقياً وكل التعريفات هى أوصاف اسمية. يرى محيى الدين بن عربى أن هناك نوعين من الأشياء التى يمكن فهمها: بعضها محدد وبعضها غير محدد، والعشق هو أحد الأشياء التى لا يمكن تحديدها، ويعرف الإنسان هذه الحقيقة السامية عندما يذوق لذتها. (ابن عربى، ١٤١٨، ٢: ص ٣٢١) ولذلک يعتقدون أن العشق مسألة ذوق ولا يمكن فهم حقيقته، ولا يمكن وصفه والحديث عنه إلا بناءً على ذوقه وإدراكه الشخصى يقول رجل محترم:

«واختلاف الناس فى حدة، فما رأى من يقتصر على الجوهر، ولكن لا يتصور مثل هذا الشىء، فما الحد إلا النتائج والآثار والملحقات، وخاصة والارتفاع من الإسناد إلى الله عز وجل»؛ (المرجع نفسه، ص٣٢٠)

لقد اختلفت آراء الناس فى تعريف العشق، ولم أر أحدا يقدم تعريفا جوهريا وحقيقيا للحب، لأن مثل هذا التعريف ليس متصورا للحب، ولكن يمكن الحديث عن آثاره ونتائجه وملحقاته، خاصة الذى وصفه الله بذلک.

ويرى الكلاباذى (ت ٣٨٠هـ) أن العشق لا يمكن تعريفه، وقد وصف كل من تحدث عنه خصائصه أو آثاره أو تصرفات المحبين. (مستهلى النجار، ١٣٦٣: ص٣٤٩)

كما أن حضرة الإمام رحمه الله متفق مع غيره من أهل العلم الكبار فى هذه المسألة ويرون أن العشق والمودة خارجان عن التعريف والتعريف الكامل والشامل لها لا يمكن تصوره.

وصف العشق:

العشق هو أحد القضايا الرئيسيةُ والأساسيةُ للعرفان. لا يمكن العثور على كتاب أو رسالةُ صوفيةُ لا تقول سطراً أو سطراً عن العشق، لكن الحديث والحديث عن موقف العشق أمر صعب وصعب للغايةُ. العشق بحر لا نهايةُ له لا يمكن حصر قطراته ولا يمكن سماعها أو سماعها تحدثت عن

العشق موضوع لا القلم يملك القدرةُ على كتابته، ولا الورقةُ تسجله، ولا اللغةُ للتعبير عنه، وقد اعترف بذلك الجميع.

ويرى الإمام الراحل رحمه الله أيضاً أن القلم ليس له القدرةُ على رسم العشق، وفى رسمه يكسر نفسه. صحيح أن تعريف العشق وطبيعته الحقيقيةُ غير ممكن ومن الصعب للغايةُ وصفه والتعبير عنه، والحقيقةُ أن العشق هو أن نتذوقه ولا أن نقوله، وكأس العشق هو أن نشربه ولا نقوله. لا تكون مكتوبةُ. وفى الوقت نفسه فإن محاربى معركةُ العقل والعشق والمتصوفين الذين أضاعوا قلوبهم واحترقوا فى مرجل بحر العشق، لم يسلموا من وصف العشق وتفسيره، ولم يسلم المتعطشون من وصف العشق وتفسيره. غادروا وادى الجنون، وفى كل مكان فى كتبهم ورسائلهم أعمال وآثار نتائج وتحدثت ملحقات العشق والغرام ولم يدخروا جهدا فى كشف ركن من أركان العشق الخفيةُ ووصفه. وشرح ذلك. يتحدث حضرةُ الإمام رحمه الله كغيره من المتصوفةُ عن العشق فى كتبه الأخلاقيةُ والصوفيةُ، وخاصةُ فى مؤلفاته الصوفيةُ الأولى والأخيرةُ، وهى مصباح الهدايةُ وديوان الشعار، وهما أطهر وأنضج. تجارب صوفيةُ يجعل نفسه متاحًا للجمهور. وقد وردت كلمةُ العشق فى ديوان الامام حوالى ١٦٧ مرةُ مما يدل على أهميةُ العشق ومكانته فى عرفان. وفى هذا الجزء من المقال تتم مناقشةُ طبيعةُ العشق ووصفه وتفسيره من وجهةُ نظر حكماء التصوف والإمام رحمه الله.

وقد فسر كثير من العلماء العشق بأنه حماسةُ زائدةُ، وإسراف فى العشق.

يقول الخواجة نصير الدين الطوسى:

«الحب إذا افرط سمىّ عشقاً »(ابين سينا، ۱۳۸۹، النمط ۸، الفصل ۱۸)

الاهتمام عندما يصل إلى الحدود القصوى يسمى عشقا. يقول أمير سيد على همدانى: العشق وهذا الإفراط هو العشق. (الهمدانى ۱۳۶۲: ۴۶)

حضرة الإمام رحمه الله، الذى تعتمد نظرته الصوفية على العشق، قد شرح ووصف العشق فى مواضع عديدة فى أعماله. وبعد دراسة مؤلفات الإمام رحمة الله، وخاصة ديوان ذلک الجليل، وهو آخر مؤلفاته الشعرية، نخلص إلى أن العشق والمودة من الموضوعات المركزية والأساسية، ويمكن القول أنها أساس جميع أعماله. ويتحدث الإمام رحمه الله عن العشق فى ديوانه ويقدم نفسه على أنه ابن العشق وابن جام المتبنى. فهو يعتبر العشق جوهر الوجود الإنسانى ويسميه إكسير الحقيقة، ولذلک فهو يتناول جوهر هذا الإكسير وتعريفه.

لا ينبغى للعاشق أن يقوم بالاستعدادات ويحصل على النتائج بطريقة لعبة العشق. حقيقة العشق نار تنبع من قلب العاشق، وينتشر ورقها فوق رأسه علناً وباطناً وظاهراً، فيغطى كيانه كله. ولهذا السبب فإن كل حركات مثل هذا الشخص وكلامه هى رومانسية، لأن ما فيه يخرج من الجرة. وبعد مثل هذا الشخص المفتون بمكانة الوحدانية والمحب لجمال الوحدانية، فإن كل ما يفعله يدل على حبه لحضرة الحق. (الإمام الخمينى ، ۱۳۷۹، ص۱۱)

وقال الإمام رحمه الله: العشق والمودة هما بريق الحياة وطيران الارتقاء. (الامام الخمينى، ۱۳۷۷: ۷۶) العشق حقيقة جلاليه وجماليه و، تهذيب وتشبيه، وهو غير محترق ومخلق للكمال، وهو يتناول أيضا التهذيب والتفريغ، وفيه التطهير والتحليه، وهو «ليذهب عنكم الرجس" و"يطهركم تطهيراً»محبو الله يلبسن من كل الرذائل ويتحلون بكل الفضائل. (طباطبايى، ۱۳۸۸، ص۷۵)

يرى الإمام رحمه الله أن محبة الله لها مراتب كغيرها من الصفات الكاملة، ويرى أن محبة الله من حيث الطهر والطهارة لها مراتب عديدة أعلاها درجة: نفى أى تعددية تسمى «العشق» التى يتذكرونها. (الإمام الخمينى ، ١٣٨٩، ٢٩٠)

قال الإمام رحمه الله: العشق لا نهاية له. إنهم يشبهون العشق ببحر لا نهاية له وصحراء لا نهاية لها، ويقولون إنه لا يمكن رسم حدود للعشق.

يقول حضرة الإمام عن الثبات فى طريق العشق وألم ومعاناة العشاق:

حبنا يكبر وألمنا يزيد، لم نتقاتل مع المدعى عاكف للمسجد.

العاشق لا يلتفت إلى الصعوبات والمعاناة فى طريق محبته، ولكنه مثل حضرة إبراهيم الخليل (عليه السلام) يواجه نار النمرود دون أى خوف أو تردد، وكما كانت نار النمرود برداً وصحة على إبراهيم (عليه السلام) فإن معاناة العشق وصعوبته ستكون سهلة ومحتملة على الطالبين.

ومن وجهة نظر الإمام رحمه الله أن العشق ذو اتجاهين. هناك علاقة محبة بين الإنسان والله، فكل من الإنسان المحب يحب الله والله يحب الإنسان، وهناك سحب منه يجعل المحب يقع فى حبه، ولا تنقطع رحمته تجاه الإنسان.

أنواع العشق:

وقد قسم بعض الخبراء العشق إلى نوعين: العشق الجسدى والعشق الروحى. ويقولون: العشق الجسدى يسعى إلى إشباع الرغبات الحيوانية والحسية ويخمد فى حالة تحقيق الاتصال وتحقيق الهدف. لكن العشق الروحى هو عشق إنسانى وسماوى، وهو من أعظم الكمالات، وببلوغ الهدف يصبح أكثر ناراً وأبديًا وثباتًا (النيشابورى: ١٤٠٦، ص ٣٤).

قسم البعض الآخر من أهل نظر العشق إلى عشق افتراضى وعشق حقيقى ويعتقدون أن العشق الافتراضى يجعل القلب مهووسًا وأهله ليسوا أكثر من زير نساء، ولن يكونوا أنانيين والشهوانية، والبر الذاتى، والأشخاص الذين يرتكبون الخطيئة ويتمردون على القانون، وخاصة شريعة الله؛ لكن العشق الحقيقى يجعل الإنسان ينتبه إلى العبودية، والخضوع للحق، والاهتمام بجوهر الوحدة، والشعور بالحضور فى الحياة اليومية، وقادة هذه القافلة، إلا الأنبياء والأولياء والعظماء. لن يكونوا إلهيين

وفى إحدى رباعيات الشيخ البهائى نقرأ:

ايّها القوم الذى فى المدرسه　　كلّما حصّلتموه وسوسه
فكركم إن كان فى غير الحبيب　　ما لكم فى النشأة الاُخرى نصيب

ويعرّف بعض الخبراء العشق بأنه العشق الأرضى والعشق السماوى، والبعض – كما ذكرنا – العشق بأنه العشق الحقيقى والعشق الظاهرى، والبعض الآخر يعرف العشق بأنه العشق المحمود والعشق المذموم، والعشق الحلال، والعشق الحرام. والعشق المسموح والعشق الممنوع. ولكن الأفضل – عند المؤلف – أن يقال: العشق نوعان: ١. العشق الحقيقى ٢. العشق الافتراضى. والعشق الحقيقى نوعان: العشق الحقيقى (حب الله) والعشق الاعتمادى وغير الحقيقى (عشق غير الله على أمر الله).

العشق عند أهل البيت (عليهم السلام):

هل وردت كلمة "العشق" فى القرآن والأحاديث؟ يقولون: العشق لم يُجل فى القرآن والأحاديث، وأصل هذه الكلمة لم تظهر فى الآيات والأحاديث. عشق حقيقى أم عشق افتراضى؟... كلمة "عشق" أم معناها ومفادها؟ هل كلمة «وُدّ» «*إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى* »(شورى:٢٣) وكلمة "شغف" "قد شغفها حبا"(يوسف: ٣٠) غير العشق هل هى؟

يحاول القرآن تقوية العشق فى الله ويحاول أيضًا إضعاف غزو العشق الحيوانى.

وقد نهی أمیر المؤمنین علیه السلام عن حب الدنیا؛ ومن جملة ما قال: «ولا تنظر إلیهم نظرة العاشق»(الآمدی: ۱۴۱۰، ص ۱۲۳).

وقد أشار ذلک الإمام إلی الافتتان بمخلوقات الله دون دافع إلهی بأنه «مرض» وقال: «العشق داء بلا أجر ولا ثواب» (ابن ابی الحدید، ۱۳۷۸ق، ج۲۰، ص۸۰۷).

العشق (العشق الجنسی، العشق الحر الشهوانی) هو نوع من الأمراض التی لا تعطی الإنسان مکافأة.

إن خادم الله الأمین ینال الأجر الإلهی علی مرضه؛ لکن مرض العشق لیس هکذا. وقال أیضاً فی تصریح آخر:

«العشق شیء ولذة ومرض للقلب، فهو ینظر إلی ما لیس صحیحا، ویسمع ما لا یسمع؛ وذروة شهوات العقل وموت الدنیا هو القلب»(نهج البلاغه: خطبه۱۰۹).

الإنسان الذی یقع فی حب شیء ما تضعف عیناه أمام حقائق الوجود؛ کما یفقد قلبه صحته؛ لا یفکر إلا فی حبیبته وخلاص، یتصرف بعیون ضعیفة وآذان صماء؛ لقد عطلت الشهوات عقله وقتلت قلبه (فإنه لا یستخدم عقله وجهده إلا فی طلب الشهوة والوصول إلی معشوقته).

ولما سألوا الإمام الباقر (علیه السلام) عن العشق (العشق الحیوانی والجنسی): قال الإمام (علیه السلام) عن حقیقة العشق والمحبین: «إن القلوب فارغة من محبة الله». یحب الآخر (کرمانشاهی ، ج۲، ص۳۶۶).

... و قد سئل الصادق عن العشق. قال: «قلوب خلت من محبّة الله ؛ فأذاقها الله حلاوة غیره». (صدوق، ۱۳۸۵ق، ج۱ ص۱۴۰).

وبطبیعة الحال، فإن کلمة «العشق» فی الأحادیث لیست مخصصة لحالات العشق الافتراضی (إدانة العشق الجنسی والحیوانی)؛ بل یستخدم أیضًا فی حالة العشق الحقیقی، وفی

الواقع يستخدم فى كلتا الحالتين. لاحظتم فى الأحاديث السابقة أن كلمة «العشق» تستخدم فى حالة العشق المذموم وغير الشرعى، والآن ننتبه إلى الأحاديث التى تفيد بأن كلمة "العشق" تستخدم فى حالات العشق الحقيقى والمحبين الإلهيين. يتم العمل من بين هؤلاء:

وقال النبى الاكرم صلى الله عليه وآله: « *إنّ الجنّة لأعشق لسلمان».(الجزايرى ، ج۳، ص۵۸).*

قال الامام الباقر عليه السلام :مر أمير المؤمنين بكربلاء. فوقف فى منطقة تسمى «مقذفان» وقال: هنا قُتل مأتى نبى ومأتى قبيلة من الأنبياء. وجميعهم من الشهداء. (وزاد:) هذا المكان هو ساحة العشاق ومحل استشهاد الشهداء الذين لم يسبقهم أحد فى الرتب ولن يصل إلى قدميه أحد فى المستقبل. «... مصارع عشاق الشهداء...» (احسائى: ۱۴۰۳ق، ج۴، ص ۱۰۱)

لقد اعتبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أجمل العبادات وأفضلها العبادة الرومانسية؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الناس حب عبادة الأحبة بالقلب، والعبادة بالأجساد والاستمتاع بها. فهو لا يبالى على ما أصبح من الدنيا؛ على عصر أو على يسر" (النيشابورى، ۱۴۰۶ق: ص۲۳)

النقطة المهمة أن معنى العشق والعشاق والمحبوبة فى الأحاديث المذكورة أعلاه ليس إلا العشق الحقيقى والمحبوب والعاشق الذى سئم منه، ولا يمكن الرجوع إلى العشق الافتراضى (العشق الحيوانى والجنسى)) واعتبرها مهمة فى نظر الوحى ومدرسة الأنبياء، وأعطتها صفة إلهية واعتبرتها سلما لتحقيق العشق الحقيقى.

العشق الحقيقى، العشق الافتراضى:

إن كلمة «المجاز» تستخدم فى مقابل كلمة «الحقيقه»، ولأن محبة الخالق متأصلة فى الطبيعة البشرية، فهى محبة حقيقية. ومن الواضح أن العاشق الذى يوضع أمام عاشق حقيقى يعتبر عاشقاً افتراضياً، وهذا العاشق الافتراضى هو أحد العوامل التى تبعد الناس عن الاهتمام

بالعشق الحقيقى. هناک نوع واحد فقط من العشق – وهو ما يسمى بالعشق المراثى وحبيبه يتمتع بصفة إلهية – يمكن أن يجعل الشخص يهتم أكثر بالعشق الحقيقى.

هل العشق الافتراضى ضرورى فى الحياة؟

وللإجابة على السؤال أعلاه يمكن القول:

١. ويرى بعض الخبراء أن العشق الجنسى –أى العشق الافتراضى– هو ضرورة فى الحياة. بل إنهم أخذوا بكلام ووجهات نظر بعض المعلمين فى علم النفس والتحليل النفسى و... وأثبتوا أن العشق ليس فقط ضرورة فى حياة الإنسان، بل ينبغى تربية الأطفال منذ البداية. ويجب أن يكون المجتمع دائمًا مثقفًا فى الرغبات الجنسية! لقد تصرفوا على عجل لدرجة أنهم تجاهلوا النهاية المؤسفة لعملهم ولم يفكروا إلا فى «الحرية الجنسية» !! التقدم فى العلوم التجريبية فى مختلف المجالات، بما فى ذلک مجال العلوم الإنسانية؛ غير مدركين أن مدرسة المسيحية الحقيقية تختلف عن المسيحية؛ ويتجاهلون حقيقة أن النظريات العلمية لا ينبغى اعتبارها الرأى الأخيرة

ومن هنا، إذ يرى المفكرون اليوم المجتمع غارقاً فى مستنقع الفساد والدمار الناجم عن كسر زمام العشق، مع تحذيراتهم وتراجعاتهم، ونظرياتهم العلمية الجديدة، على عكس الآراء السابقة الحاضرة؛ لإعادة المياه المفقودة إلى الغلاف الجوى؛

٢. بعض الخبراء الأتقياء والفلاسفة المستنيرين وعلماء الأنثروبولوجيا الخبراء، وكذلک أتباع المدارس الإلهية، لا يعتبرون «العشق الافتراضى» ضرورة للحياة ويعتبرون العشق الحقيقى فقط ضرورة يتذكرونها ومن الواضح أن العشق الحقيقى نوعان: تابع وغير معتمد؛ عدم الاعتماد هو حب الإنسان لطبيعة الله؛ والاعتماد على محبة الإنسان تجاه الناس أو الأشياء التى يحبها الله

وفى هذا الصدد، فإن العشق العائلى، وحب خلفاء الله، وحب المقدسات، وحب الإنسان المتحرر من الشهوات الجنسية (الذى لا يتم إلا من أجل التقرب إلى الخالق) من فئة العشق

الحقيقى يعتمد؛ لقد ذكرناهم أيضًا باسم العشق المرآتى، وهم على بعد أميال من ممارسة العشق على أساس الحالة المزاجية الحسية.

ومن مجموع الأحاديث التى مضت قبل ذلک يتبين أن:

أ. وعشاق العشق الجنسى (الجسدى والحيوانى) هم من فئة الجاهلين بالله

ب. عشاق العشق الحقيقى لا يقعون فى العشق الافتراضى

ج. يمكن علاج مرضى العشق الافتراضى من خلال تقوية العشق الحقيقى

د. إن الغزاة الثقافيين الذين يتحدثون عن الحرية ويتحدثون عن العشق فى هذا الصدد ويدعوون جيل الشباب إلى إشباع غرائزهم الجنسية هم أنفسهم الذين وقعوا فى عواقب وخيمة.

لقد أصبح العشق افتراضيا وسقط مجتمعهم فى مستنقع الدمار والفساد وهى «حرية» العشق، ويحاولون تصدير مشاكلهم إلى بلدان أخرى أيضا. وأيضاً هناک من يجهلون كل شيء، يبحثون فقط عن الأساس لاستغلالهم.

ولذلک تجدر الإشارة إلى أن العشق الافتراضى ليس من ضروريات حياة الإنسان أبداً، وما هو أساسى فى الحياة هو العشق الحقيقى فقط.

قال النبى الاكرم صلى الله عليه وسلم: «*من رزقه الله حبّ الأئمّة من أهل بيتى، فقد أصاب خير الدنيا و الآخرة* » (متقى هندى، ص ۴۳۳، ح ۱۸۷۲)

وهذا العشق والمودة هو الذى أدخل كمكافأة للرسالة:« *إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرَبى*» (مجلسى:۱۴۰۳ق، ج ۷۰، ص ۲۵، ح ۲۷).

وأمام العشق الحقيقى هناک العشق الحيوانى (العشق الجسدى) الذى يؤدى فى نظر الدين إلى التمرد والعقاب. وهذا النوع من العشق يسمى «العشق الجنسى الافتراضى». وبطبيعة الحال فإن العشق الافتراضى الذى لا يحتوى على عناصر حسية مقبول عندنا، وكثير

من الصوفیین والفلاسفة الذین یؤمنون بالعشق الافتراضی یعتبرون هذا النوع من العشق الذی یمکن أن یطلق علیه «العشق الافتراضی المسموح به» لتمییزه عن الجزء غیر المقبول من العشق الافتراضی. ولم یعتبر إلا العشق الافتراضی الشهوانی والشهوانی غیر قانونی

وهذا النوع من العشق هو الذی یسبب الدعارة والفحشاء فی المجتمع، وقلوب بعض الناس المریضة هی الحاویة لهذا النوع من العشق. تنبع منه أعمال شنیعة مثل الزنا والفجور والفجور الجنسی وأی أعمال غیر قانونیة أخری.

وهذا النوع من العشق الظاهری فی کلام أمیر المؤمنین (علیه السلام) مرض فی القلب

وقد ذکر؛ وقال : «*العشق مرض لیس فیه أجر و لا عوض*» (شوری: ۲۳).

وکان حضرته یقول أیضاً: «جمال الحرّ تجنّب العار»(ابن ابی الحدید: ۱۳۷۸، ج۲، ص۴۶۰، ح۴۶).

وتجدر الإشارة إلی أن وعاء العشق الافتراضی (غیر الشرعی) هو القلب المحروم من الاهتمام بالعشق الحقیقی. عندما سألوا الامام ما هو العشق؟ رد: «*قلوب خلت عن محبّة الله ، بمحبّة غیر الله*» (غررالحکم: ۳۳۸) ؛

لقد وقع العالم فی براثن العشق الافتراضی، والشذوذ فی عالم الیوم هو نتیجة للحریات غیر المشروعة والترویج للحب الافتراضی.

ظهرت فی المجتمعات البشریة جرائم وفظائع وشذوذات اجتماعیة لا حصر لها من خلال الاهتمام بالعشق الافتراضی؛ وکما نقرأ فی التاریخ السابق، وقع قدّار فی حب امرأة اسمها رباب، وطلبت منه رباب أن یعقرناقة صالح. وتصرف بشکل أعمی بسبب أسره فی حب عشق رباب (صدوق: ۱۳۸۵ق، ص۵۳۱، ح۳).

الترويج للحب الافتراضى (العشق الأرضى):

فى هذه الأيام، يتم الترويج لممارسة العشق (الانتباه إلى عوامل الجذب الجنسية للحب الافتراضى الحسى والعشق الجامح وغير المقيد) بين الشباب تحت عناوين مختلفة، وفى بعض الأحيان يتم إجراء الحجج دور أساسى فى حل المشاكل الروحية للإنسان.

وفى مقابل ما سبق تجدر الإشارة إلى أى العشق هو ضرورة الحياة العشق الحقيقى أم العشق الجنسى الذى من مظاهره الاهتمام بالغرائز الجنسية؟

ومن الواضح أن العشق الحقيقى والاهتمام بمتطلبات الطبيعة أمر ضرورى فى أى عمر وفى أى حالة وفى حالة كل إنسان، والحياة بدونه تفقد روحها وحيويتها الضرورية؛ وهو ما يؤكده الميثاق السماوى: «*أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ*» (حاكم النيشابورى: ۱۴۰۶ق، ج۳، ص۱۴۳).

يقول الامام الخمينى رحمه الله:نحن العشاق نهتدى من أعلى الجبل، الروح القدس يبحث عنا (رعد: ۲۸)

لكن فيما يتعلق بإشباع الغرائز الجنسية، فالمسألة هى أنه فى سن ۱۳-۱۴ سنة، وبحسب التنظيم الفسيولوجى الداخلى، يتم إفراز الهرمونات الجنسية بشكل أكبر والسائل الواهب للحياة الذى يسمى «البذور»؛ الذى له استهلاك داخلى للجسم وأكثر من اللازم (فى النوم أو فى اليقظة) ينفجر فى الخارج وليس له أى تأثير سلبى على حياة الإنسان؛ بل إن التأثير الإيجابى لهذا السائل المحيى وافر؛ ومن عدم النضج تشجيع الشباب على إخراج هذا السائل الحيوى من أنفسهم بالطرق المحرمة ومحاربة طبيعتهم بحجة أنها مشبعة بالعشق؛ لأن العمليات غير المشروعة تترك آلاف الآثار المدمرة على روح الإنسان وجسده

قد يقال: إذا كان العشق ليس ضرورة، فلماذا كان الزواج فى نظر الإسلام هو الاهتمام الدقيق عند ه وبجانب ذلک العيش منفرداً حرام ومذموم؟

أولاً: العشق له أنواع؛ وینبغی تجنب التعمیمات. العشق من ضروریات الحیاۀ، لکن من الضروری أن نری أی حب؛ العشق الجنسی الحیوانی الجامح فی الغرائز الجنسیۀ أم العشق النقی (العشق الحقیقی)؟

ثانیاً: للزواج بدوره آثار تربویۀ وشخصیۀ واجتماعیۀ عدیدۀ، منها الاستخدام الصحیح للغرائز الجنسیۀ. وهذه القضیۀ تختلف عما یتحدث عنه عملاء الغزو الثقافی؛ ویقولون: ینبغی إشباع الغریزۀ الجنسیۀ بأی وسیلۀ ومن أی باب، ویبعد عن نفسه ماء الحیاۀ.

إن لعبۀ العشق وممارسۀ العشق، التی هی الشغل الشاغل للثقافات الأجنبیۀ – والتی یروج لها هذه الأیام عملاء الغزو الثقافی، ضد الشباب المسلم وأصحاب الثقافۀ الإسلامیۀ – لیست من العشق الذی یقره الإسلام؛ بل هو العشق الذی یستعبد الحیاۀ ویدمرها ویحرم الإنسان من أی حریۀ. وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: :«*کم مِن لذّۀ دنّیۀ، منعت سنّی درجات*»(خمینی: ۱۳۷۹ش، ص ۵۶)

وفی حدیث آخر قال : «عبدُ الشهوۀِ اذلُّ من عبد الرّق»(الآمدی، ۱۴۱۰ق، ص ۵۱۳).

علی أیۀ حال، ما یقولونه لیس مثالاً علی العشق الواهب للحیاۀ. ولذلک تجدر الإشارۀ إلی أنه بلا شک فإن الرسول الکریم صلی الله علیه وسلم هو وحده عالم الأنثروبولوجیا الحقیقی دون غیره، وإذا کان السؤال عما یقوله المؤمنون الغربیون فلا شک أن حضرۀ قد حذرنا منه.ستفعل؛ بل علی العکس من ذلک، فقد قال النبی: «نحن الشاب نترک نعیم الدنیا ونعیم الشاب فی طاعۀ الله إلا أعطاه الله أجر اثنین وسبعین صالحاً»

رأی الامام الخمینی رحمه الله:

فی کل مکان فی الکتابات الصوفیۀ وتعلیماته، هناک حدیث عن العشق؛ ویهتم قداسته بمسألۀ أن تقویۀ العشق الحقیقی یؤدی إلی تثبیط العشق الافتراضی، وهذه المسألۀ تعتمد علی السفر عبر البیوت والسیر فی الطرق المذکورۀ فی الإرشادات الباطنیۀ للإمام الخمینی رحمه الله. وقد لوحظ. ونستعرض هنا آرائه

وبحسب حكمة الرب الحكيم فإن للإنسان ثلاث قوى: الخوف، والغضب، والشهوة، والتى تلعب دوراً أساسياً فى بقاء الحياة الشخصية فى الدنيا والآخرة والحفاظ على النوع البشرى. لأن هذه القوى الثلاث هى مصدر كل الممالك الجيدة والسيئة وأصل كل أشكال المملكة الداخلية للإنسان.

الوجه الداخلى للإنسان – والذى يسمى أيضًا بوجه الملكوتى – هو وجه إنسانى فى البداية؛ أما إذا تغلبت عليها صفات الرذيلة، أى الخواص غير البشرية، تغير الوجه الداخلى للإنسان، وتحول إلى وجه جديد.

فمثلاً إذا تغلبت قوة الغضب على الإنسان وعقله وخضع لها، قويت همجيته وشراسته، وأصبح باطنه مثل وجه الحيوان المفترس.

وأيضاً إذا غلبت قوة الخوف على الإنسان، فإن وجهه الباطنى ووجهه الملكى يصبح وجهاً شيطانياً؛ أنه لا يصدر من هذا وذاك إلا الخداع والحيلة والخداع والتدليس والخداع والغيبة. وبالطبع فى بعض الأحيان تكون صورة مزدوجة ومقترنة بالشراسة والأذى لدى الشخص

والظاهر أن الوجه الباطن للإنسان حينئذ لا يشبه أى حيوان؛ وتتحول إلى صورة غريبة

وأيضًا إذا تغلبت قوة الشهوة على الإنسان، فإن ملكوت الإنسان وباطنه أيضًا ليس له مظهر سوى الحيوانية والشهوة. وتجدر الإشارة إلى أن الوجه الداخلى للإنسان يسمى أيضاً «الوجه البرزخى ».

عندما يخلع الإنسان ثيابه من العالم، تظهر المملكة والوجه الباطنى الذى ساد عليه، نفس المملكة والوجه الباطنى، فى عالم المطهر. أحيانًا يرى الأشخاص الذين «يقومون بالاستبطان» فى العالم الوجه الباطنى للآخرين. والخلاصة أن هذه القوى الثلاث إذا خضعت لسيطرة العقل والإيمان وتخطيط الوحى والفطرة السليمة للإنسان، كانت من عوامل سعادة الإنسان وازدهاره؛ وإلا فهم سبب البؤس والشقاوه

ومن الجدیر بالذکر أن:

أ. ومن کل قوة من القوی الثلاث المذکورة أعلاه، علی شکل الاعتدال والقضاء علی التجاوزات، تظهر فی النفس البشریة فضائل وصفات مثل الحکمة والشجاعة والعفة والعدل، والتی تعود جمیع فروعها إلی هذه الأخلاق الحمیدة المختلفة والفضائل الأخلاقیة. صفات. ولکن إذا نزعت إحدی هذه القوی الثلاث إلی الإفراط صارت مصدر الرذائل، ومسببة لجمیع الأخلاق غیر اللائقة، والصفات القبیحة، والأخلاق السیئة (الآمدی، ۱۴۱۰، ص ۴۶۸).

ب. وسر رسالة الانبیاء یکمن فی تعریف الناس بالفضائل ومنعهم من التحول إلی الرذائل (امام خمینی، ۱۳۷۵، ص ۵۱۱).

طبیعیة العشق:

ویری الإمام رحمه الله أن الإنسان مخلوق بالعشق، وفی طبیعة المخلوقات کلها یخلق العشق الفطری والعشق الروحی. (الإمام الخمینی ، ۱۳۷۳، ص ۳۱۵) وعلی اعتقاده فإن جمیع سلاسل الکائنات وجمیع ذرات الکون من أدنی مرتبة إلی مرتبة أعلی. أعلی الدرجات، کلهم باحثون عن الحق، والجمیع یطلبون الله فی کل حاجة. (الإمام الخمینی ، ۱۳۷۹، ص ۹۱) علیه ذرات وجود المحب.

ولذلک فإن الإنسان، وهو رائد المخلوقات، یحب الحقیقة بطبیعته، لأن العشق المحبوب الأزلی مغروس فی أعماق وجوده منذ بدایة الزمن.

یقول الإمام رحمة الله: إن الإنسان لدیه معرفة فوریة وبدیهیة بالحقیقة: إن الإنسان بطبیعته یحب الحقیقة، وهی الکمال المطلق، مع أنه هو نفسه لا یعرفها بسبب حجب نور الطبیعة. ولذلک فإن الإنسان غیر المواجهة، الذی یعتبر الکمال المطلق حقیقة، وله معرفة مباشرة بالمکانة المقدسة للکمال المطلق، یری کل ما یخرج منه کاملا، ویری جمال الحقیقة وکمالها فی جمیع الکائنات. . وإذا رأی الذات المقدسة کاملة ومطلقة، رأی صفات الجمال والجلال کاملة. وکذلک راقب الأفعال الصحیحة بصیغة تامة وکاملة، واکتشف أنه «لا ینبغی

أن يكون هناک کمال مطلق بل کامل» بالملاحظة المباشرة. (الامام الخمینی، ١٣٧٧، ص١٦٤)

ولكن تجدر الإشارة إلى أن هناک عوائق فی طریق الإنسان تمنعه من تحقیق الکمال.وفی التصوف غالباً ما تفسر مثل هذه العوائق على أنها حجاب، ویذکر الإمام نوعین من الحجاب، الفاتح والغامق، ویعتقدون: إذا نزع هذا النوع من الحجاب عن وجه الطبیعة الکریم، ظهر فی الإنسان حب الکمال. ویتحقق، ویصل إلى محبة الکمال، ویحصل على المیل إلى کل الخیر. (راجع المرجع السابق، ٨٠) وبالطبع فإن موضوع العشق الطبیعی والفطری هو المحبوب المطلق، وغیر المطلق لا یمکن أن یکون محبوبا للطبیعة لأنه محدود: «کل الطبائع بلا استثناء، العشق هو الکمال المطلق، العشق فی الله.»(الإمام الخمینی ، ١٣٧٨، ج١٤، ص ٢٠٩)

ولا یخفی على صاحب الضمیر أن الإنسان بحسب طبیعته الأصلیة وفطرته یعشق الکمال المطلق، وقلبه متجه نحو الأجمل والأکمل من جمیع النواحی؛ وهذه من الفطرة الإلهیة التی خلق الله تعالى الجنس البشری لها (امام خمینی، ١٣٧٧، ص ١٢٧)

ویقول الإمام رحمه الله: من الأدلة القویة على الکمال المطلق حب الإنسان للکمال المطلق، لأن المحب الحقیقی لا یمکن ولا یستحیل بدون محب حقیقی . (الإمام الخمینی ، ١٣٧٨، ج١٤، ص ٢٠٥)

ویری الإمام رحمه الله أن الإنسان له طبیعتان أولیة وثانویة. إن طبیعة حب الکمال تسمى الطبیعة الرئیسیة المستقلة، وطبیعة تجنب النقص تسمى الطبیعة الثانویة، ویعتقدون أنه مع الطبیعة الثانویة یبتعد الإنسان عما لیس صحیحاً، ومع الطبیعة الرئیسیة، فیصل إلى الطبیعة الجمیلة والطبائع الأخرى الموجودة فی الإنسان، ویعود إلى هذین النوعین من الطبیعة

یملک. (الإمام الخمینی ، ١٣٧٧، ص ١٠٢ و ١٠٣) الإمام الخمینی رحمه الله یثبت المبدأوالمعاد بالاعتماد على العشق الطبیعی. (راجع المرجع نفسه، ١٨٢-١٨٤ و١٨٥)

دفاع الإمام عن خصوصیّة العشق:

وبالإضافة إلی أن الإمام (ره) تحدث عن محبة الله ومحبته فی مصنفاته، فإنه ینهی أهل العلم عن إطلاق أحکام غیر صحیحة علی محبة الله ومحبته، مما یؤدی إلی الفساد: «ومن الأمور المهمة التی یعاقب علیها» لا بد منه، وعلی إخوان المؤمنین، وخاصة أهل العلم، أن یعلموا أنهم إذا رأوا أو سمعوا کلام بعض علماء النفس وأهل العلم، فلا ینبغی لهم أن یفسدوا ویبطلوا بغیر شرع. ولا یظنوا أن أحداً یأخذ بأسماء مراتب النفس وسلطات الأولیاء والصوفیة ومظاهر الحق والمحبة والمودة ونحو ذلک مما هو شائع عند أهل العلم. ، هو صوفی أو مروج بدعاوی صوفیة أو حائک أمامه، لیس له حجة عقلیة أو دلیل شرعی. «والله نفس الصدیق إن الکلمات من نوعها هی تفسیر لأقوال القرآن والحدیث...» (امام خمینی: ۱۳۷۵، ص ۱۶-۱۷)

وهکذا یعتبر الإمام کغیره من الحکماء والفلاسفة أن موضوع العشق والمودة الإلهیة هو شرع کامل، وأساسه القرآن والحدیث والأئمة، فهل ینتقل إلی شیء آخر؟ هل قرأت المناجاة الشعبانیة التی جاءت عن حضرة الأمیر وأولاده المعصومین (ع) وقرأتها مراراً وتکراراً...الهی هب لی کمال الانقطاع الیک...هل الحق والحذر من جلالتک بخلاف ذلک الجلال علی لسان الأولیاء...» ۳ (خمینی: ، ص۹۳۸)

یحاول حضرة الإمام، فی شرحه لحالة الانجذاب الروحی والفنا الکامل، أن یمثل حالة المحب فی العشق: «إنها مثل حالة الانجذاب الروحی.. هی مثل حالة المحب المفتون به». حرکاته الرومانسیة، أنه لا ینبغی للحبیب أن یقوم بالترتیبات ویستخلص النتائج فی لعبة العشق، بل حقیقة العشق نفسه هی نار تشتعل من قلب العاشق، وتنتشر جاذبیتها إلی الرأس، الجمهور والداخل، والمظهر، ونفس مظاهر العشق فی رأس القلب تظهر کألعاب حب من الخارج؛ خارج الجرة هو ما فیه. وبنفس الطریقة ینبهر بمقام احادیت ویعشق جمال الصمدیت وتجلیات العشقیة الباطنة وتجلیات حبیبیة العشقیة التی تتجلی فی مملکة ظهوره وتجری فی

مملكة ظهوره. استشهاده. لتكن هذه هى خطة الصلاة. وإذا حدث غير هذا الموقف لنبى الخاتم عليه الصلاة والسلام فى هذا الوحى الروحى والتودد المحبب، فقد حدث موقف آخر...» (الإمام الخمينى ، ۱۳۷۹، ص ۲۸۹-۲۴۶)

ويعتبر الإمام أن العشق ليس مشروعاً فحسب، بل طبيعياً أيضاً: «... اعلم ان ا... تعالى... فطرالنفوس... على فطره ا... الى العشق بالكمال المطلق... و بالجمله الانسان بفطرته عاشق الكمال المطلق و بتبع هذه الفطره... فطره اخرى... فالانسان عاشق جمال ا... و يحن اليه تعالى... فطرالناس على هاتين الفطرتين الفطره الاصليه. هى فطره العشق بالنكال المطلق و الفطره الشيعهٔ...»(الإمام الخمينى ، ۱۳۷۹، ص ۱۲).

يرى الإمام الخمينى (ره) أن الإنسان بطبعه يحب الكمال ويتجنب النقائص، لذلك يسعى دائما نحو الكمال للتخلص من النقائص.

إن طبيعة الإنسان الأساسية هى حب الكمال المطلق والطبيعة الثانوية هى طبيعة الاشمئزاز وكراهية النقص، بحيث يجعل الإنسان هاتين الطبيعتين المسار اللامع ورفرفة صعوده وبهاتين الجناحين إلى عشه الأصلى. وهو عتبة النبى وهو صديقه وبوابته للطيران (الإمام الخمينى ، ۱۳۷۹ب، ص ۱۵۲) «على أساس خلق المحبة الطبيعية فى جميع الكائنات وإكاله السر السر الكمالة والتغرر. -مقامه فى النشوء من الدنيا وله...» إن وجود العشق عند جميع الكائنات، وخاصة عند الإنسان، عند جميع المتصوفين. والفلاسفة مسألة صدفة، فلا يمكن إنكارها.

مراحل وشروط العشق الحقيقى:

العشق كغيره من الأمور والتطورات المادية والروحية، له قمة واوج يجب أن تمر بمراحل للوصول إليها. والمراحل المعتبرة للحب هى نفس مراحل السلوک شرعا، ولا يوجد غير ذلک، الاهتمام بالأعمال والواجبات، وترک المحرمات تماما وعمليا، بخطة محكمة.

١) اجتناب الشهرة والكبرياء ومحاربة الغرور والنفاق:

وفى هذا الطريق ينبغى أولاً محاربة صنم النفس وإذلالها وإزالة أسس الخداع والنفاق والرياء من القلب، وتتجلى هذه المعانى فى كلام الإمام بمجازات جميلة وتستخدم أحياناً وعباءة النفاق وسجادة الصلاة والمدرسة وغيرها.... (الإمام الخمينى ، ١٣٧٩ب، ص ١٥۴)

ومن الشائع فى هذه المصطلحات المجازية، التى هى طريقة جميع الصوفيين فى الشعر، أن يتم إزالة جميع القيود ومظاهر جميع أنواع الرذائل من الصوفى من خلال التشبث بالحانات والسكر والمعابد والآثار والعباءات الكلام تحت الإشارة والاستعارات، لذلك يقال إن الكناية ابلغ من التصريح، فالبلاغة تقتضى أن ينقل أهل الفن رسالة الله وأسراره وأسراره إلى الأشخاص الذين هم أهل البلاغة، فينبغى أن يقال مثل ذلك وذلك لأنه قيل:

على الإنسان الذى يسعى إلى طريق بحر العشق والمودة الإلهية أن يطهر نفسه من قيود أناه ويتحرر من كل قيود ويتحرر من عبودية أى سيد ومولا حتى تكون العبودية بكل معنى الكلمة من الله وحده الحق فيه، والخالى من النفاق والشرک، وينبغى أن يكون ظاهراً وواضحاً.

إن امتلاک اسم ظاهر وقوة لا تنفع عباد الله هو عائق معروف فى الطريق والسلوک الذى ينبغى اجتنابه، والشهرة الكاذبة من عوائق الطريق. فى طريق الصديق، ينبغى للمرء أن يتجنب كل الارتباطات المادية وجمال البيت والأسرة والمال والأولاد، التى يدينها القرآن باعتبارها محبوبة.

إن التخلص من الشعور بالعزة والكبرياء وعظمة المظهر هو أول خطوة نحو العبودية. هذه المرحلة فى العشق هى المرحلة الأولية، ويتم تحقيق الشاكرا الصحيحة فى هذه المرحلة.

۲) الكتمان والحياء فی العشق:

الشيخ الرئيس والخواجة الطوسی فی النمط التاسع (مقامات العارفين) اعتبروا العشق العفيف من شروط الوصول إلی الكمال – أی اعتبروا العفة متضمنة فی العشق والتقدم إلی الكمال (الإمام الخمينی : ۱۳۷۳، ص ۲۳۰) فمن كما ورد فی التقاليد الإسلامية أن الصوفيين اقترحوا هذه المواضيع من خلال تكييف الأحاديث:

«من عشق فعف ثم مات شهيداً» و «من عشق و كتم و عف فمات و هو شهيد» و «من عشق و كتم و عف و صبر غفرا... له و ادخله الجنه» و «ما المجاهد الشهيد فی سبيل ا... باعظم اجراً ممن قدر فعف »

العفة فی ممارسة العشق هی أحد متطلبات التقدم. وإذا اعتبرنا العفة فی هذه الأحاديث حباً افتراضياً، فإنها ستكون نقطة انطلاق للتقدم والوصول إلی العشق الإلهی الحقيقی، فالستر والعفة والصبر كلها شروط العشق الثلاثة، وإذا توفرت هذه الشروط فی العشق الحيوانی والجسدی، التسلق إلی القمة العشق الحقيقی سيكون سهلاً. إن مقام الاستشهاد، وهو من أعلی المناصب الروحية، يعطی للمحب العفيف الكتوم الصبور. إن إخفاء وتغطية رأس العشق وحزنه لم يكن بعيداً عن اهتمام المتصوفين والفلاسفة.

قال الامام فی كتمان العشق بالفارسية:

غم عشق تو به جان است و نگويم به كسی — كه در اين باديه غمزه غمخواری نيست
راز دل را نتوانم به كسی بگشايم — كه در اين دير مغان راز نگهداری نيست
سر عشق است كه جز دوست نداند ديگر — می نگنجد غم هجران وی اندر گفتار
راز بيهوشی و مستی و خراباتی عشق — نتوان گفت كه از راهبران بی خبريم
آنچه در مدت هجر تو كشيدم هيهات — در يكی نامه محال است كه تحرير كنم

۳) حجب طریق العشق:

ومعنی قطع الحجب هو أنه إذا کان الصوفی بین طریقین، وهو الأفضل، کالصعود فی طریق الحق والصمت أو الانخراط فی شؤون الدنیا، فقد ترک الإمام کل القیود ووقف ضد الطاغیة، ولذلک یعتبر کل شیء حجاباً.

العشق من الناحیة النظریة:

العشق فی المجالین النظری والعملی له مبادئ أساسیة متناثرة فی کلام الصوفیین الجمالیین. والمقصود بـ «الأسس النظریة للتصوف الرومانسی» هی نفس أبعاد المعرفة التی تتناول الاعتراف بحقیقة العشق کفئة أنطولوجیة ونتیجتها زیادة المعرفة بحقائق الوجود، مقابل « أسس سلوکیة» التی ترکز علی العشق کمحور. وهی فعالة فی العملیة الصوفیة. البعد النظری للحب یشمل العشق خارج المسار والسلوک، العشق یندرج فی مشهد حیاة الصوفی، فی مجال حقیقتها الخارجیة، وبعده العملی یشمل العشق فی مشهده الداخلی؛ وهذا یعنی أن الباحث عن الحیاة هو فی المیدان. فمثلاً هذا مبدأ نظری أن: «محبة الله بطبیعتها تنبع من علمه (مصدر المحبة المعرفة)» وأیضاً: «المحبة هی سبب خلق الوجود». یدعی عرفان جمالی أن العالم یولد من العشق. وللإمام الخمینی أیضاً جملة جمیلة فی هذا الشأن: « و لو لا ذلک الحبّ، لما یظهر موجود من الموجودات و لا یصل أحد إلی کمال من الکمالات؛ فإنّ بالعشق قامت السموات» (إمام خمینی، ۱۳۷۲، ص ۷۱). ویعتبر أن سبب خلق الکون هو حب الطبیعة. فالله له معرفة بذاته، ومعرفة ذاته تقتضی محبة الکمالات الإلهیة والجمالیات، وحب ذاته یقتضی أیضاً ظهور تلک المحاسن، بطرق مختلفة، فی صورة أسماء وصفات وکرامات ونحو ذلک. ، العشق یأتی من المعرفة والبصیرة، وکلما ارتفعت المعرفة، کان العشق أکثر احتراقا وکمالا. مثل معرفة الله وحبه لجمال الطبیعة. إن جمیع المخلوقات هی مظهر من مظاهر محبة الله للطبیعة، ولهذا السبب یعتبر المتصوفون أن العشق هو الجوهر الأساسی للخلیقة وسبب الوجود. ویعبر الإمام الخمینی عن هذه الحقیقة بطریقة مختلفة من خلال الحدیث الشهیر «کنت کنزاً مخفیا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لکی اعرف». ومن وجهة نظره فإن العشق هو العلاقة بین الذات الخفیة والظهور فی الساحة المعینة، ولفظ «ان أُعرف»

فی الحدیث المذکور یشیر إلی الظهور بعد خفی العشق، العشق الإلهی، وظهور جوهر اللذة (امام خمینی، ۱۳۷۲، ۲۰: ۲۰)

کما أشار الإمام الخمینی فی کثیر من المواقف إلی أن الوجود جمیل فی کل وقت، والعشق هو أیضاً طفل الجمال. نقرأ فی مقدمة مصباح الهدایة أن حقیقة الوجود المطلقة هی حقیقة العشق والعشق، التی اختزلت إلی أشکال بسیطة غیر عنصریة فی شکلها ولباسها الخارجی (إمام خمینی، ۱۳۷۲: ۱۸). ویقول فی مکان آخر أیضاً: مهما قال العشق، مهما کان العشق (الإمام الخمینی ۱۳۷۹: ۱۵۰).

وقد ذکر الامام الخمینی فی شرحه لحدیث جنود العقل والجهل أن الخلق کلهم ظل حضرة العشیق وخاصة العشیق الذی محبته وشعبیته کلها تعبیرات عن محبته (الإمام الخمینی ۱۳۷۷، ص ۱۲۷)) ، عندما یکون العشق عامل الخلق، یکون الوجود مرادفًا للحب، وکل مخلوق هو ظل للحب، سیکون تدفق الجمال والعشق فی جمیع المخلوقات واضحًا: جزیئات وجود المحب مرئیة (الامام الخمینی ۲۱۲: ۱۳۷۹). لا یوجد عالم لا یوجد فیه حب.

ویقول الإمام أیضاً فیما یلی مبدأ المجاز قنطرة الحقیقة الشهیر:

ویری الإمام أیضاً أن شیئاً واحداً فقط ینتمی إلی العشق الطبیعی والفطری: وهو أن المحبوب المطلق فی نظره لیس مطلقاً لأنه محدود، فلا یمکن أن یصبح محبوباً فطریاً لدی الإنسان (إمام خمینی، ۱۳۷۵، ص ۱۲۷). ویمکن القول أن الإمام لا یخصص مکاناً للمحبة المباحة. وبعد الحدیث التفصیلی عن أنواع الطبیعة، یشیر إلی أنه إذا وجد الإنسان محبوبته فی کائنات أرضیة ناقصة ومحدودة، فإن طبیعته المسکرة مخفیة وراء حجاب من الظلام والنور. وهذا التعلق یحرمه من لقاء الله ورؤیة الجمال المطلق: «إلا أن یتجاوز هؤلاء العاشقون عتبة المباح وینظرون إلی المحبوب الظاهری نظرة خاضعة غیر مستقلة(الطباطبائی ۱۳۸۸:۸۲ یمکننا أن ننظر». والإمام علی قاعدة المجاز کان یعرف الحق. لکن ما یحصل فی مؤلفات الإمام هو أن الالتزام بهذا المبدأ لیس مؤکدا بشکل واضح. علی عکس أمثال أحمد غزالی

وعین القضاة الذین تحدثوا بوضوح عن الأهمیة الخاصة للحب الافتراضی وارتباطه بالعشق الحقیقی. ومع أن الإمام یعتقد أن «الجمیع یطلبک بکل رغبة ویحبک بکل محبوب» (إمام خمینی، ۹۱، ص۱۳۷۵)، إلا أنه عملیاً لا یعترف بأی حب إلا العشق الإلهی، وسائر الطرق محجوبة ومعیقة حتی بهذه الطریقة یعرف.

، وأیضا تحت الأقوال الشهیرة أن«کل جمیل من جمال الله؛ و ظل الجمیل جمیل»؛ . إن هذین المبدأین للتصوف الجمالی لیسا بعیدین جداً عن بعضهما البعض، ولهذا السبب سنناقشهما واحداً تلو الآخر أدناه. ویستخدم الإمام الخمینی هذا المبدأ، إلی جانب مبدأی «الجمال والعشق یجریان فی جمیع الکائنات» و«ظل الجمیل جمیل»، لتفسیر وشرح الرضا الرومانسی الذی هو ثمرة الإیمان بهذه المبادئ. ومن وجهة نظره فإن الباحث یکتفی بنظام الوجود کله بحسب سطوع وجوده وکماله الأصیل.(الإمام الخمینی، ۱۳۷۷، ص ۱۶۴)

وبحسب الإمام، فإن الباحث الصوفی، بعد وصوله إلی مرحلة معینة من الحدس، یلاحظ سلسلة الوجود بأکملها کمحب وباحث عن العشق (الإمام الخمینی ۱۳۷۵: ۹۱) (فی مصباح الهدایة، بعد إسناد الخلق إلی النعمة المقدسة والتجلی الأول ونسب هذا التجلی إلی محبة الجوهر، مبنی علی أن الله یشهد ذاته فی مرآة الصفات ثم تظهر عوالم مختلفة (الامام الخمینی ۱۳۷۲: ۶۷).

وبحسب الإمام الخمینی، فإن موقف وحدة الوجود الرومانسی والفناء الرومانسی لا یمکن أن یتحقق إلا بجذب الإلهی وشعلة العشق التی تؤدی إلی الحقیقة (الإمام الخمینی، ۱۳۷۵، ص ۵۹۱) ولا یمکن الوصول إلیها إلا بالاستفادة من طریق العشق (الإمام الخمینی، ۱۳۷۵، ص ۵۹۱). ووفقا له، فی قانون العشق، لن ینفصل المحبوب المطلق عن العلاقة، ولن یکون بینه وبین محبوبته حجاب. (الامام الخمینی، ۱۳۷۷: ص ۲۶۲) یری النبی (ص) من انقطع عن أفق الکثرة والعزائم ورفض غبار کثرة الأسماء والصفات والأسماء بخطوة. المحبة والمودة، ووصلت إلی مقام ظهور النعمة المقدسة فی مقام الهویة الغیبیة والوحدة الخالصة (الإمام

الخمينى ١٣٧٥، ص٩٣) لقد مرت كل هذه المستويات ببركة المحبة؛ ومن وجهة نظر الإمام، فإن سلطات السلوك مثل الزهد والتقوى والصبر وما إلى ذلك يمكن أن تتحقق جميعها فى ظل العشق (راجع طباطبائى ١٣٨٨، ص ١٠٥–٨٩) وأخيراً الوصول إلى موت خانة العشاق:

وفقا للإمام الخمينى، الإنسان مخلوق بالعشق، وفى طبيعة جميع المخلوقات، تم اختراع حبه الفطرى وادعى (الإمام الخمينى ١٣٧٣:٢٨٨:) وفى مكان آخر، اعتبر الإمام المحب الحقيقى هو الجمال المطلق، الذى يسعى إليه الباحث. يمكن أن تجد بعد اختراق حجب الظلام والرفض فهم اختلافها وغيرتها. ثم يعتبر هذه الملاحظة والإدراك "حدس الكمال كله" ويعتبرها وصول الطبيعة إلى محبوبها (الإمام الخمينى ١٣٧٧، ص ٢٦٢)؛ لذلك فالعشق من وجهة نظر الإمام عملية طبيعية. ومن وجهة نظرهم، ليس الإنسان وحده، بل كل ذرات الكون خاضعة للمحبة، من يبحث عن الله فى أى رغبة (الإمام الخمينى ٩١: ١٣٧٥)؛ لأن العشق هو مصدر روحنا (الامام الخمينى، ١٣٧٩، ص ٥٥). عندما يكون سبب الخلق هو العشق الفطرى، فإن جميع الخلق يبحثون عن هذا العشق حتى لو لم يدركوا هذه الحقيقة. وطبعاً تجدر الإشارة إلى أن العشق الطبيعى من وجهة نظر الإمام هو حب الكمال المطلق (الإمام الخمينى، ١٣٧٧، ص ٨٠) ولكن اعتماد مفهومى الجمال والكمال لا يخفى على أحد، وارتباطه بالجمال. والجمال الذى هو العامل الأساسى للحب. حب الكمال المطلق، أى حب كل الجمال المتكامل فى ذات الله مطلقاً، ولذلك يرى الإمام أن حب الكمال المطلق هو مصدر حب المعرفة المطلقة، المطلقة. القوة والحياة المطلقة والإرادة المطلقة (الإمام الخمينى ١٣٧٧، ص ٨٠).

علامات وآثار عشق الإنسان لله:

ومن حيث التعبير عن التعريف وما هو العشق، فقد أصبح من الواضح أن المواضيع والفئات مثل العشق لا يمكن تعريفها ومن الصعب جداً الحديث عن حقيقتها، لأنه لا يمكن فهم حقيقتها، ولا يمكن فهمها إلا من أعماله ونتائجه تكلم وبهذه الطريقة أدرك وجود

المحبۀ فی الناس. ولذلک فإن الحدیث عن علامات العشق وآثاره أمر مهم، ویبدو من الضروری التطرق إلیه. هناک الکثیر من المطالبین بالعشق والمودۀ فی عالم النفاق والخداع، ولکن لا یقبل ادعاء بدون سبب، والعشق لیس استثناء من هذه القاعدۀ، ولا یمکن إثباته بدون سبب، وادعاء محبۀ الله یحتاج إلی أساس وعلامۀ. ویقول الامام الخمینی فی هذا الصدد:

ففی النهایۀ، لا یُقبل ادعاء العشق لمن لا رؤیۀ له. فلا یمکن أن أکون صدیقک ویکون لک مودۀ وإخلاص، وأتصرف ضد کل نواياک ومصالحک. شجرۀ العشق ونتیجتها العمل بمقتضاها، وإذا لم یکن لها هذه الثمرۀ فلیعلم أنها لم تکن حباً، بل کانت وهم حب.... العشق فی حالته الطبیعیۀ، التعبیر عن العشق والترنم بکرامۀ المحبوب، والعمل بأساسیات الإیمان ومحبۀ الله وقدیسیه. [إذا] لم یعمل، فهو لیس مؤمنًا ولیس لدیه محبۀ. (الامام الخمینی، ۱۳۷۵، ۵۷۶) ولذلک ینبغی معرفۀ آثار وعلامات العشق والمودۀ.

ولا بد من التذکیر بأنه لا یمکن النظر فی جمیع العلامات والأعمال فی هذا المختصر، لذا وجب علینا وصف وتوضیح بعضها علی قول الإمام رحمه الله.

۱. تقدیم المحبوب وإیثاره علی کل إنسان وکل شیء:

إن وادی المحبۀ فی نظر الإمام رحمه الله هو مقام الأبرار المخلصین، وشرط المشی فی هذا الوادی هو أن یکون طاهراً وأن یکون من الأحباب المرابطین (الإمام الخمینی، ۱۳۷۰: ۵۲) ویری الإمام الخمینی رحمه الله أیضاً أن شرط العشق هو الانغماس فی جمال المحبوب، وهو ما یسعی إلی نفی جمیع العواطف ویمنع الإنسان من التعبیر عنها:

و لا یخفی علی العارف انّ من کان فـی مـراتب السـیر و اصلاً الی فناء الرّب فانیا فی ذاته و صفاته یکون خلّته خلّها اللّه تعالی فخلیل اللّه لا یأبی عن خـلّته بـخلاف مـن کان دون ذلک فانّ محبّه المحبوب نفی جمیع الاحبه؛ (الامام الخمینی، ۱۴۱۰ق، ص ۱۱۱) وفی موضع آخر یقول: «فانّ العشق المفرط یوجب ان یفدی مـا هـو احـبّ عنده فی طریق محبوبه، فالاستغراق فی جمال المحبوب یمنعه عن ان یعبّر» (المرجع نفسه، ۱۲۷).

ومن وجهة نظر الإمام رحمه الله فإن قلب المؤمن هو العرش ومقر ملكوت الحق ومقر ذلک الجوهر المقدس، والإلتفات إلى غير الله عز وجل خيانة. للحق، وحب أى شىء غير جوهر الله وخاصته يعتبر خيانة. (الامام الخمينى، ١٣٧٥، ٤٨٠)

٢. العشق يزيل حُجُب الظلام والنور:

الخطوة الأولى فى الرحلة الروحية هى معرفة الموانع والحجب وكيفية اختراقها. فى الرحلات الفكرية والصوفية الأربع، فإن معرفة حجاب النور والظلام لها مكانة عالية؛ بل يمكن القول بأن الأخلاق والتصوف كله إما أن يكون مقدمة لإزالة الحجاب بين الإنسان والله، أو أنه **نتيجة وفروع منه.**

فليفتح قلبه فيراها خلف الستار، حتى إذا رآها يألفه ويحرک العشق سلسلة الإثارة، وبمساعدة العشق وقوة العاشق تنفتح الستائر الواحدة تلو الأخرى. واحد؛ فلتحرق أشعة المجد والغيرة وكل شىء، ودعه يجلس فى مكانها فيقع الجميع فى العشق.

يقول حضرة الإمام رحمه الله فى هذا السياق: «يقول أهل العلم: الحق الأعلى يرفع الحجاب لمحبوبته، والله أعلم ما فى هذا الرفع من شرف. وكانت آمالهم وهدفهم النهائى هو رفع الحجاب».

كما يرى الإمام رحمة الله أن:

محبة بعضكم البعض فى سبيل الله تسبب محبة الله. ونتيجة هذا العشق هو خلع الحجاب كما يقول الصوفيون الشامخين. ومن المعروف أن لهذه الشعبية أيضًا مستويات؛ فإذا كانت محبة الله لها مستويات عديدة من حيث النقاء والطهارة. والطهارة التامة هى أن لا يكون الشوب كثير الأسماء والصفات، وهذا هو سبب العشق الكامل، ولا يمنع المحبوب المطلق من

الارتباط فی شریعهٔ العشق، ولا یکون بینه وبینه حجاب. العشیق. (الامام الخمینی، ۱۳۷۵، ص ۲۹۰)

وبهذه الطریقهٔ لا یمکن الخروج من المواعید إلا بخطوهٔ المحبهٔ وإزالهٔ غموض الأسماء والصفات والوصول إلی حضرهٔ المحبوب: (الامام الخمینی ،۱۳۷۰، ص۱۲۲)

فالعشق یدعو الساعی إلی أصل الوجود والحقیقهٔ مع جمیع الکائنات، بدلاً من أن یشغله بالجواهر والمحددات، وهو عالم التعدد.

۳. المحب یرید أن یکون بلا اسم:

یقول حضرهٔ الإمام رحمه الله فی أربعین حدیثاً:

ویا مدعی المعرفهٔ وجذب السلوک والعشق والفناء! [قال الله علی فم نبیه: «اولیایی تحت قبایی لایعرفهم غیری»؛ إذا کنت من الآباء الصالحین والمحبین والرائعین، فالله أعلم. لا تظهر مکانتک ومکانتک للناس کثیراً، ولا تجعل قلوب عباد الله الضعیفهٔ تتغیر من خالقها إلی خلقها، ولا تغضب بیت الله. (الامام الخمینی، ۱۳۷۵، ص ۱۶۲)

۴. عبادهٔ العاشق:

ویری الإمام رحمه الله أن التواصل مع المحبوب المطلق هو غایهٔ آمال الوالدین ونهایهٔ رغبهٔ أصحاب العلم ورب القلوب، بل هو قرهٔ عین سید الأنبیاء صلی الله علیه وسلم . (الامام الخمینی، ۱۳۷۰، ص ۴۳) ویعتبرون الصلاهٔ واسطهٔ مثل هذا الارتباط، ومن الطبیعی أن تکون قبلهٔ مثل هذا المرید هی الحاجب المحبوب. (المرجع: دیوان الإمام، ۲۰۷) الصلاهٔ هی معراج للحبیب وتعطیه منزلهٔ الإنسان الکامل. فالعابد المحب لا یعتبر عبادهٔ الحق وصلاهٔ المحبوب المطلق والمحادثهٔ مع مالک الملوک شاقهٔ وصعبهٔ. ولذلک فهو لا یستبدل لذهٔ الصلاهٔ بالحق والرغبهٔ فی لقاء المعشوق بخاصیهٔ الوجود، ویمارس العشق بحقه وعبادته. قلوب العشق

والحماس والعاطفة تهيمن على المتصوفين فى العشق، وبخطوة العشق والغرام يخطوون فى حضرة البشر، وقلوبهم بتلك العاطفة الغيبية تتغزل بحب الحاضر واحضر بالذكر والفكر الحق حتى نهاية الصلاة. (الامام الخمينى، ۱۳۷۰، ص ۱۲۲)

يقول حضرة الإمام رحمه الله على قول مولى الموحدين:

أيها العزيز، إن عبادة العلى وطاعة الله هى من أوضح فروع العشق الإلهى، وبالطبع فإن عبادة الأحرار هى الثمرة الكاملة لهذه الشجرة، وهى عبادة تتحقق لمحبة العلى وإيجاده. الجوهر المقدس، وليس الخوف من النار أو الرغبة فى الجنة هو الدافع وراءها مثل عبادة الأئمة الأثر عليهم السلام الذين قالوا: عبادتنا عبادة الاحرار (انظر: شرح الأربعين حديث ۵۷ و ۳۲۶).

يرى حضرة الإمام رحمه الله: أن الإنسان بحسب فطرة الله وفطرته الأساسية يكره الدمار والموت ويحب البقاء والحياة. طبيعة العشق هذه مرتبطة بالبقاء المطلق والحياة الأبدية؛ أى بقاء لا فيه هلاک، وحياة لا انحلال فيها. ولأن فى طبيعة الإنسان هذا العشق وتلک الكراهية، فإنه يجد العشق والمودة لما عرف وجوده فيه، وذلک العالم الذى اعتبره عالم الحياة، ويكره العالم المقابل. . ولذلک ينبغى أن نعلم أن كراهيتنا وخوفنا من الموت يرجع إلى أننا لا نؤمن بالدنيا الآخرة، وأن قلوبنا غير متأكدة من الحياة الأبدية والبقاء الأبدى لتلک الدنيا. والعلاج النهائى الوحيد له هو وضع الإيمان فى القلب ليفكر ويتذكر الأعمال الصالحة والعلم ويعمل الصالحات. لكن كمال والمؤمنين الموقنين لا يكرهون الموت مع أنهم يخافونه، لأن خوفهم هو عظمة الحق الأسمى وجلال ذلک الجوهر المقدس. ولهذا السبب شعر أمير المؤمنين عليه السلام بالخوف والرعب الشديد ليلة التاسع عشر، حيث قال: «وَاللّهِ لاَبنُ أبيطالِبٍ آنَسُ بِالمَوتِ مِنَ الطِّفلِ بِثَدىِ أُمِّهِ ». ينبض قلب العاشق عند اللقاء فيصبح خائفا مضطرباً، ولكن هذا الخوف يختلف عن المخاوف العادية (الامام الخمينى، ۱۳۷۵، ص ۳۵۸ و ۳۶۱).

ومن وجهة نظر الإمام رحمه الله أن يوم الوفاة هو نهاية الهجرة ويوم التعلق بالمحبوب.

۵. غمر العاشق فى بحر الفناء:

ومن صفات العاشق ومن أعظم بركات العشق وثمراته فناءالمحب فى المحبوب. وقبل أن أبدى رأى الإمام رحمه الله، شرح مختصر عن «الفنائى فى الله» وممرات هذا الطريق وجهاته بكلام بعض أشهر تلاميذ مدرسة ابن عربى وأوثقهم. وينبغى الإشارة بشكل خاص إلى داود قيصرى، مؤلف شرح فصوص: يعتقد الصوفيون أن الإنسان، كغيره من الحيوانات، لا يعرف شيئًا سوى الأكل والشرب عند ولادته. ثم تظهر له، تدريجياً، بقية الصفات، كالشهوة، والغضب، والجشع، والحسد، والبخل، وغيرها من الصفات التى تكون نتيجة التكتم والبعد عن معدن الوجود وصفات الكمال. فالإنسان فى هذه المرحلة حيوان مستقيم، تصدر منه أفعال مختلفة بإرادات مختلفة. وبعد ذلک، عندما يستيقظ من نوم الغفلة والجهل، ويدرک أن وراء هذه اللذات الحيوانية، هناک لذة أخرى، وفوق هذه المستويات الأخرى من الكمال، يتوب من الانخراط فى المحرمات الدينية ويعود إلى الله عز وجل. ونتيجة لذلک، يبدأ فى ترک الكماليات الدنيوية للوصول إلى الكمالات الدنيوية الأخرى. ويعقد عزمه على الهجرة إلى الله من موقع نفسه، ولأن النفس فى هذه الرحلة تجد نفسها فى غربة من مكان مألوف، فمن الطبيعى أن تحتاج إلى مرشد يكون من كبار الطريق.

إذا لم تحاول، فلن تحصل على أجر إذا كنت تريد طاعة سيدک. فكلما دخل السبيل زاهد واجتنب كل ما يخطر على قلبه ويميله إلى الباطل، ويفعل ذلک فى كل أمر ولو أمره بالعبادة، لأن طبيعة النفس هى المحبة الشهوات والملذات، فلا يستحق أن يأمن من تدخله، لأن النفس مظهر من مظاهر الشيطان. وعندما يتخلص الطالب من الأنا ويطهر ويحقق حياة سعيدة بالتمتع بطريق المحبوب يستنير بالفرح وتظهر عليه أشعة أنوار الغيب وينفتح له باب الملكوت. والوحى يحدث له واحدا تلو الآخر. ونتيجة لذلک، فإنه يلاحظ الأشياء غير المرئية فى الأمثلة. فإذا ذاق شيئا من ذلک انجذب إلى الخلوة والخلوة والذكر والعناية بالطهارة الكاملة

والوضوء والعبادة والتأمل والحساب، وأعرض عن الشهوات، وأفرغ القلب من محبة الحواس والحساب. وهكذا يهتم كلياً باطنياً بالحقيقة. فيجد عنده الفرحة، والسكر، والضمير، والحماس، والمودة، والإثارة، والعشق، وأحياناً يجعله يختفى من نفسه، ويجعله فانياً. وفى هذا الوقت يلاحظ معانى القلب والحقائق الخفية والأضواء الروحية، ويصل إلى مرحلة الفحص والوحى، فتارة يظهر عليه النور الحقيقى وتارة يكون خفياً. وتستمر هذه الكشف من وقت لآخر حتى يتم اختراقها ويتحرر الطالب من الإغراء، وحينها يحل عليه السلام الروحى والطمأنينة الإلهية، ويصبح دخول هذه الأشعة والأحوال ملكة له. فهو فى داخل العالم متمكن ويراقب المفردات والأضواء العلوية والمدراء العامين للعالم من الملائكة المقربين والفاردين من محبة الجمال الإلهى، ويتحقق وجوده ويتأكد بنورهم.

وقال الشيخ أكبر محيى الدين ابن عربى: ما المقصود بمحبة الله هذه؟ وكلمة "غرام" مشتقة من جذر يعنى البلية أو البلية العظيمة، التى لاتفك الانسان. هناك حب وعلاقة بين المرأة والشخص الذى يصر على أن يحبها أو إذا أراد أن يسميها "الحب". ووجود علامة العذاب الشديد فى جهنم دليل على أنه لن يكون هناك عذاب أكثر أو أقل دائماً. (التفسير الامثل، ١٥/١٥١)

النهاية مؤلمة وحزينة. وعلى قول الشيخ يبدو أننى عاشق للحب وآخر من يحب الحب فى أرض الحب، وهذا نتيجة الحب الذى تحقق (ابن عربى، ١٤١٨). ٣٣٤/٢)

ويرى حضرة الإمام رحمه الله أنه العاشق لا يرى الا ما يريد محبوبه. المعجبون بجمال الجميل وعشاقه من العالمين مصطفون والعيون من مناطق حضور بسطة وفيه عز وشرف جمال الله وعنان خانم فى حضرة الله واللحظة الذى – التى. هو، ذكر، يتم التخلى عن الأفكار والملاحظات والملاحظات. (آداب الصلاة، ١٠٨) مع تمر الجاذبية الإلهية وجمرها فى بيت مظلم وبأقدام تنفر من انفصال الأنانية والأنانية، أسقطت ستائر الظلام والنور فى قلبه، تلك هى نهاية طريقه وانتهى هناك. ويوجه بشكل خاص إلى إمام الشهداء:

لکن لأنه إنسان فقد وصل إلی طریق الأنانیة وقد ترکته الأنانیة، وخارجه بیت یبحث عن وجهة أصلیة وأسرار ومراحل مواعید سأنفصل عن کل الخلائق ومخلوقات العالم برأسی ویدی والکواکب. والأقمار والشموس بأفق القلب، أدارت وجوهها نحوک، واتجهت نحوی کشیء آخر، یا إلهی، وجَّهتُ وجهی للذی فطرالسموات والارض (الأنعام ۶/ ۸۰) وهو فانٍ فی الأسماء والفاعلات والأفعال، ولکن فی هذه الحالة إذا کان الله من دون الله، فإنه یصبح إلهًا ویختفی ککل. حدث مع النتیجة، والعمود المطلق، ولکن الحق فی الوجود، أو العامل، وبه له حق السمع، وله حق الرؤیة، وله ید قادرة علی النطق، ولسانه للنطق، وله حق النطق، انطق ومن حقه أن ینطق الأصم والأصم والبکم الذی به نسعی إلی الحقیقة وحیث یخدع الطموح بالجاذبیة الإلهیة وجمر النار. الحب بدین جمر الحب الذی ما زال قریباً منه، مع حق الزئیر وبهذا الجذب الإلهی، هو نتیجة الصداقة نفسها، نعم. (شرح اربعین حدیث ۵۹۰-۵۹۱)

النتيجة:

العشق ينقسم الى العشق الحقيقى والعشق الافتراضى.

مراحل وشروط العشق الحقيقى: ١) اجتناب الشهرة والكبرياء ومحاربة الغرور والنفاق ٢) الكتمان والحياء فى العشق

ومن مجموع الأحاديث التى مضت قبل ذلک يتبين أن:

أ. وعشاق العشق الجنسى (الجسدى والحيوانى) هم من فئة الجاهلين بالله

ب. عشاق العشق الحقيقى لا يقعون فى العشق الافتراضى

ج. يمكن علاج مرضى العشق الافتراضى من خلال تقوية العشق الحقيقى

د. إن الغزاة الثقافيين الذين يتحدثون عن الحرية ويتحدثون عن العشق فى هذا الصدد ويدعوون جيل الشباب إلى إشباع غرائزهم الجنسية هم أنفسهم الذين وقعوا فى عواقب وخيمة.

مراحل وشروط العشق الحقيقى: ١) اجتناب الشهرة والكبرياء ومحاربة الغرور والنفاق ٢) الكتمان والحياء فى العشق ٣) حجب طريق العشق

علامات وآثار عشق الإنسان لله

١. تقديم المحبوب وإيثاره على كل إنسان وكل شىء ٢. العشق يزيل حُجُب الظلام والنور ٣. المحب يريد أن يكون بلا اسم ۴. عبادة العاشق ۵. غمر العاشق فى بحر الفناء

المآخذ:

١. القرآن الکریم:

٢. ابن ابی الحدید، (١٣٧٨ق)، شرح نهج البلاغه،مصر

٣. ابن سینا،حسین بن عبدالله،مجموعه رسایل شیخ الرییس ابن سینا،رسالهٔ العشق،قم،آیت اشراق

٤. ابن شهرآشوب،محمدبن علی، (١۴١٢ق)، مناقب آل ابی طالب،بیروت،دارالاضواء

٥. ابوابراهیم،مستملی نجار، (١٣۶٣)، شرح تعرف لمذهب التصوف،انتشارات اساطیر،طهران

٦. احسائی،محمدبن علی بن ابراهیم، (١۴٠٣ق)، عوالی اللئالی،قم مطبعهٔ سیدالشهداء

٧. الإمام الخمینی ،سیدروح الله(١٣٧٢)مصباح الهدایهٔالی الخلافهٔ والولایهٔ، طهران، موسسهٔ تنظیم و نشر آثارامام الخمینی،الطبعهٔ الاولی

٨. الإمام الخمینی ، سیدروح الله (١٣٧٣) آداب الصلاهٔ، طهران موسسهٔ تنظیم ونشر آثار امام الخمینی، الطبعهٔ الرابعهٔ

٩. الإمام الخمینی ،سید روح الله (١٣٧٣) محرم راز، طهران، موسسهٔ تنظیم ونشر آثار امام الخمینی.

١٠. الإمام الخمینی ،سیدروح الله (١٣٧٥) شرح اربعین حدیث، طهران موسسهٔ تنظیم و نشر آثار امام الخمینی، الطبعهٔ الثامنهٔ

١١. الإمام الخمینی ،سیدروح الله (١٣٧٧) شرح جنود العقل والجهل، طهران، موسسهٔ تنظیم ونشر آثار امام الخمینی، الطبعهٔ الاولی

۱۲.الإمام الخمینی، سید روح الله (۱۳۷۸) صحیفة النور، طهران، موسسة تنظیم ونشر آثار امام الخمینی

۱۳.الإمام الخمینی، سیدروح الله (۱۳۷۹) دیوان الامام، طهران، موسسة تنظیم ونشر آثار امام الخمینی، الطبعة سبعة و عشرون

۱٤.الإمام الخمینی، سید روح الله (۱۳۷۹) سرالصلوة، طهران موسسة تنظیم ونشر آثار امام الخمینی، الطبعة الرابعة

۱٥.الإمام الخمینی، سید روح الله (۱۳۷۹) طلب والارادة طهران، موسسة تنظیم ونشر آثار امام الخمینی، الطبعة الاولی

۱٦.الإمام الخمینی، سیدروح الله، (۱۳۷۸ش)، ره عشق،نامه عرفانی الإمام الخمینی ناشر مؤسسه تنظیم و نشرآثار الإمام الخمینی

۱۷.الإمام الخمینی، سیدروح الله، (۱۳۷۴)، حضور ،ش:۱۲تابستان طهران، موسسة تنظیم ونشر آثار امام الخمینی

۱۸.الآمدی، عبدالواحد، (۱۴۱۰ق)، غررالحکم و دررالکلم، قم، دارالکتاب الاسلامی

۱۹.جوادی آملی، عبدالله، ۱۴۱۳ق، أسرار العبادة الناشر, بیروت : دار الهادی.

۲۰.حاکم النیشابوری، محمدبن محمد، (۱۴۰۶ق)، مستدرک الحاکم، تحقیق یوسف مرعشلی، بیروت دارالمعرفه

۲۱.حسنلوا، امیرعلی، (۱۳۸۷)، عشق درآیینه عرفان الإمام الخمینی ،سایت دانشگاه باقرالعلوم

۲۲.الخمینی، روح‌الله، (۱۴۱۰)، تعلیقات علی شرح« فصوص الحکم» و« مصباح الانس»، قم، پاسدار اسلام

۲۳.رودگر، محمد، (۱۳۹۰)، عرفان جمالی دراندیشه های احمد غزالی ،قم نشرادیان چاپ اول

۲٤.رودگر، محمد، (۱۳۹۷)، مبانی نظری الإمام الخمینی درعشق عرفانی ومقایسه آن بامبانی احمد غزالی، پژوهش نامه متین تهران پژوهشکده الإمام الخمینی وانقلاب اسلامی، ش.۷۹

۲٥.شفیعی مازندرانی، سیدمحمد، عشق وعرفان ازمنظر الإمام الخمینی ،ناشر مؤسسه تنظیم ونشر آثار الإمام الخمینی، قم۱۳۸۲

۲٦.طباطبایی، فاطمه، (۱۳۸۸)، سخن عشق، دیدگاه های الإمام الخمینی وابن عربی تهران پژوهشکده الإمام الخمینی و انقلاب اسلامی چاپ دوم

۲۷.غفارزاده، علی، (۱۳۸۳)،جایگاه عشق درعرفان الإمام الخمینی ،منبع پژوهش های فلسفی کلامی شماره ۱۹

۲۸.کارنگی، دیل، ۱۳۹۴، آیین زندگی، ترجمه قدیر گلکاریان، انتشارات طلایه

۲۹.متقی هندی، علاءالدین، (۱۴۰۹ق)، کنزالعمال، بیروت موسسۀ الرسالۀ

۳۰.مجلسی، محمدباقر، (۱۴۰۳ق)، بحارالانوار، دارالاحیاء التراث العربی

۳۱.نوری طبرسی، میرزاحسین، (۱۴۰۷ق)، مستدرک الوسایل، قم، مؤسسۀ آل البیت.ع.

۳۲.همدانی، امیرسیدعلی، (۱۳۶۲)، مشارب الذواق، تصحیح محمدخواجوی، انتشارات عولی تهران

۳۳.همدانی، عبدالله بن محمد، (۱۳۶۴)، عین القضات، لوایح تصحیح رحیم فرمنش تهران چاپ منوچهری